الأمير صديق حسن خان البخاري القَنُّوْجِي وإسهامه في الحديث النبوي

سيد عبد الماجد الغوري[1]

المقدمة:

يُعَدّ الأمير صديق حسن خان القنوجي أحد مشاهير الإسلام، ومن أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، وأحد طليعة المؤلّفين الهنود الذين راجت كتبهم في الأقطار العربية ونالت قبولاً واستحساناً لدى علمائها. كما أنه يُعَدّ كذلك في رواد النهضة الحديثية في بلاد شبه القارة الهندية إذ كان سبباً لجلب العديد من المحدِّثين العرب في الهند، ونشرِ الكثير من دواوين السنة وكتب أئمة الحديث في هذه البلاد. وهذا البحث يحتوي على ثلاثة مطالب، يترجم أولها للقنوجي، ويعرِّف الثاني بإسهاماته الجليلة في مجال الحديث النبوي، ويزيل الثالث بعض الشبهات المثارة حول مؤلَّفاته.

المطلب الأول: ترجمته الذاتية

اسمه وكنيته ونسبته ونسبه:

أولاً: اسمه: صِدِّيق حسن خان.

ثانياً: كنيته: أبو الطيب.

ثالثاً: نسبته: "البخاري" إلى "بخارى" تلك المدينة التاريخية العريقة التي أنجبت أئمةً عظاماً في الحديث مثل الإمام البخاري[2]. وقد هاجر إليها الشريف محمد أحد

---

[1] المحاضر في قسم الكتاب والسنة في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية (كويس)، والباحث الزميل في معهد دراسات الحديث النبوي (إلهاد) بسلانجور.

[2] هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ – ٢٥٦هـ): حبر الإسلام، إمام المحدِّثين، وأمير المؤمنين في الحديث، وصاحب "الجامع المسند الصحيح". وُلد في "بخارى" وتوفي بها، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث وسمع من نحو ألف شيخ. ومن مصنفاته: "الأدب المفرد"، و"التاريخ الكبير"، و"التاريخ الأوسط" وغيرها. انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج ٢، ص١٢٢.

أحفاد الإمام النقي من بغداد، وأقام فيها، وسكن بعده هناك أولاده، إلى أن غادرها الشيخ جلال الأعظم إلى الهند في عام ٦٥٢هـ، وسكن مدينةَ "مُلْتان"، ثم انتقل أحد أحفاده – هو الشيخ جلال الثالث – إلى دلهي على دعوة من حاكمها بَهْلُول شاه اللُّوْدِي[١]، ثم انتقل منها إلى مدينة "قَنُّوْج"[٢] حيث استقرت فيها أسرته، وعُرف أفرادها بالانتساب إليها[٣].

رابعاً: نسبه: ينحدر نسبه من سلالة النبي ﷺ من جهة ابنته فاطمة رضي الله عنها[٤].

مولده:

وُلد القنوجي يوم الأحد، التاسع عشر من شهر جمادى الأولى لعام ١٢٤٨هـ (الموافق ١٤ أكتوبر عام ١٨٢٢م)، في بلدة "بانْس بَرَيْلِي" في ولاية "أترابرديش"، في موطن جدِّه لأمه، ونشأ في موطن آبائه "قَنُّوج"[٥].

نشأته:

أبصر النورَ في أسرة معروفة بتمسُّكها بالكتاب والسنة، وباهتمامها بالعِلم واحترامها للعلماء، فنشأ في أحضان هذه الأسرة الكريمة على حُبِّ العِلم وأهله.

---

[١] هو بهلول بن كالا بن بهرام اللُّودي الأفغاني: (ت٨٩٤هـ): السلطان العادل الفاضل، ولّي الملكَ بدهلي في سنة ٨٥٥هـ، وحكمها قرابة أربعين سنة، وكان مقداماً شجاعاً، وصالحاً ومحباً للعلم وأهله. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، ج٢، ص٢٤٠، ٢٤١.

[٢] وهي من أقدم المدن في شمالي الهند، وكانت قاعدة مملكة الهند في القديم. يقول المقدسي في وصفها: "قصبة كبيرة لها ربض، ومدينة بها لحوم كثيرة، ومياه غزيرة، وبساتين محيطة، ووجوه حسنة، وماء صحيح، وبلد فسيح، متجر رابح...، وبها علماء وأجلة". انظر: عبد الله بن محمد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: محمد مخزوم، ص٣٦١.

[٣] محمد اجتباء الندوي، **الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص٣٣، ٣٥.

[٤] صديق حسن خان القنوجي، **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول والآخر**، ص: ٥٤١.

[٥] القنوجي، **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، ص: ٢، ٣.

وقد تُوفِّي والدُه حين كان عمرُه سِتّ سنوات، فتولَّت والدتُه تربيتَه منذ نُعومة أظفاره، فرعتْه رعايةً صالحةً.

طلبه للعلم:

بدأ مسيرته في طلب العلم بتلقِّي القرآن الكريم مجوّداً في أحد كُتَّاب بلدته "قنوج". ثم قرأ عدداً من العُلوم والفنون على شُيوخ أطراف وأكناف تلك البلدة، والجدير بالذكر منهم شقيقه الأكبر الشيخ أحمد بن حسن القَنُّوجي[1]. ثم رَحَل في طلب العِلم إلى مختلف بلاد الهند، وتتلمذ على أكابر علمائها، لا سيما "دهلي" عاصمة الهند ومركز العلم آنذاك، وتعلَّم هناك على يد تلامذة الإمام ولي الله الدهلوي[2] وغيرهم من العلماء الأجلّة أمثال: الشيخ محمد صدر الدين خان بَهَادُرْ[3]، والشيخ

---

[1] هو أحمد بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي، المشهور بلقب "العَرْشِي" (١٢٤٦ – ١٢٧٧هـ): أحد العلماء المبرَّزين في الحديث والعلوم العربية. أخذ الحديثَ عن المحدِّث عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي. توفي بمدينة "بَرُوْدَهْ" عن ثلاثين سنة من عمره. ومن مصنفاته: "الشهاب الثاقب" في مجلد في الاجتهاد والتقليد. انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ص٧٢٣، وعبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٨٩٧.

[2] هو ولي الله قطب الدين أحمد بن أبي الفيض عبد الرحيم الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ): المصلح المجدِّد، المفسِّر المحدِّث، الفقيه المجتهد. أخذ العلم عن والده، وقرأ الحديثَ على المحدِّث الشيخ محمد أفضل السيالكوتي، ثم رحل إلى الحجاز وتتلمذ في الحديث على أجلة علمائه. ثم عاد إلى الهند وبدأ تدريسَ الحديث النبوي في دلهي، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ لا يحصى عددهم. تُوفّي بدهلي. وله مؤلَّفات كثيرة، ومنها: "المسوَّى من أحاديث الموطأ" (بالعربية)، و"المصفَّى" (بالفارسية)، و"حجة الله البالغة". انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٦، ص٨٥٦.

[3] هو صدر الدين بن لطف الله الكشميري ثم الدهلوي، الملقَّب بـ"خانْ بَهَادُرْ" (١٢٠٤ – ١٢٨٥هـ): العلامة المفتي، وأحد العلماء المشهورين في الهند، كان جامعاً بين الفقه والحديث. وُلد بدهلي وتوفي بها. أخذ الحديثَ عن الشيخ إسحاق بن أفضل العمري وأسنده عنه. تصدَّر للتدريس في دلهي مدةً طويلة. ومن مصنفاته: "منتهى المقال في شرح حديث: لا تشد الرحال" في الحديث، و"الدر المنضود في حكم امرأة المفقود". انظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٩٢.

حسين بن مُحسن السَّبْعي الأنصاري[1]، والشيخ زين العابدين بن مُحسِن السَّبْعي الأنصاري[2]، والشيخ عبد الحقِّ بن فضل الله البَنَارَسِي[3]، وكلُّهم أجازوه بإجازات عامة فيما قرأ عليهم من العلوم والفنون[4].

---

[1] هو حسين بن محسن بن محمد بن مهدي الخزرجي السعدي الأنصاري اليماني (١٢٤٥ – ١٣٢٧هـ): القاضي المحدّث المسند المِفَنّ الأثري، من كبار علماء الحديث في وقته. وُلد بـ"الحُديدة" في اليمن. قرأ على أكابر علماء اليمن. ثم رحل إلى مكة وقرأ الصحاح الست ومسند الإمام الدارمي وغيرها من كتب الحديث على الحافظ محمد بن ناصر الحسني الحازمي. انتقل إلى الهند على دعوة من الأمير صديق حسن خان القنوجي وسكن في"بهوفال" فكانت مستقره إلى وفاته، حيث كان عمل مدرِّساً في مدرسة الرئاسة، وقد تخرَّج عليه عدد وجيه من العلماء الكبار في الهند. وله عدة رسائل في موضوعات مختلفة. انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ص٦٩٠، ٦٩١. وعبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢١٢، والندوي، **شخصيات وكتب**، ص٧٥، ٧٧، و٢٤١.

[2] هو زين العابدين بن محسن بن محمد بن مهدي الخزرجي السعدي الأنصاري اليماني (ت١٢٩٧هـ): أحد العلماء المشهورين في الهند. وُلد ونشأ ببلدة "حُديدة" في اليمن. وقرأ العلم على علماء اليمن المشهورين أمثال الشيخ السيد حسن بن عبد الباري الأهدل وغيره. ثم سافر إلى الهند وسكن بإمارة "بهوفال" إلى أن توفي بها، وتبوَّأ فيها مكانة علمية مرموقة حتى وُلِّي منصب القضاء بالإمارة، وظلَّ على هذا المنصب إلى وفاته. وقد أخذ عنه عدد كبير من العلماء الأجلاء في الهند. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٧٨.

[3] هو عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني ثم البنارسي (١٢٠٦–١٢٧٦هـ): المحدِّث المعمَّر، أحد العلماء المشهورين في عصره. وُلد بقرية "نيوتيني" من أعمال "موهان" ونُسب إليها. أخذ العلم عن أبناء الإمام شاه ولي الله الدهلوي. ثم سافر إلى الحجاز، ومكث في اليمن عند عودته إلى الهند، ولقي أئمة العلم بها أمثال الإمام محمد بن علي الشوكاني والشيخ محمد عابد بن أحمد علي السندي واستجاز منهم. وله كتب ورسائل في المنع عن التقليد، ورسالة له في أسانيد الشيخ محمد عابد السندي. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص١٠٠٠، ١٠٠١.

[4] الأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص: ٥٦. وعبد الجبار بن عبد الرحمن الفريوائي، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، ص ٣٤.

تأثُّره بالإمام الشوكاني:

كان لشخصية الإمام محمد بن علي الشَّوكاني[1] الاجتهادية أثر كبير في تكوين شخصية القنوجي العلمية، لكونه قد تتلمذ على بعض شيوخ اليمن، أمثال الشيخ حسين بن محسن الأنصاري وعلى أخيه الشيخ زين العابدين الأنصاري اللَّذَين أخذا عن الشيخ محمد بن ناصر الحازمي[2] الآخذ عن الإمام الشَّوكاني. كما أخذ القنوجي عن الشيخ عبد الحقِّ بن فضل الله البَنَارَسي المجاز من الشوكاني، لذلك عَدَّه بعضُ المترجمين له من تلامذة الشوكاني بالواسطة، وكان القنوجي يفتخر بذلك، كما يظهر ذلك من قوله: "ينتهي سندي إلى القاضي محمد بن علي الشَّوكاني بواسطة الشيخ عبد الحق بن فضل الله الهندي"[3].

وقد غلبت عليه محبة الشوكاني لدرجة أنه أكثر النقلَ عنه في كثير من مؤلَّفاته، وبالغ في نشر علومه وأفكاره في صياغة جديدة بين المسلمين وخاصةً بين

---

[1] هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ): المفسِّر المحدِّث، المجتهد المطلق، ومن كبار علماء اليمن. وُلد بهجرة "شوكان"، ونشأ بصنعاء. قرأ الحديث وغيره من العلوم على كبار علمائه في. ثم تفرَّغ للتدريس والإفتاء. ووُلِّي قضاء الصنعاء. كان على المذهب الزيدي، ثم تركه ومال إلى العمل بالكتاب والسنة، وأصبح أحدَ كبار الدعاة إلى ترك التقليد، وأخذِ الأحكام اجتهاداً من الكتاب والسنة. وله مؤلَّفات كثيرة، ومن أشهرها: "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار"، و"فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢ ص ١٩٠.

[2] هو محمد بن ناصر الحازمي الحسني الضمدي (ت١٢٨٣هـ): العلامة المحدِّث، من أعيان علماء القرن الثالث عشر، ومن كبار مشايخ الحديث والمسندين في وقته، من أشراف "تهامة". أخذ العلم عن علماء الحرمين أمثال: الشيخ الوجيه عبد الرحمن الأهدل، والإمام محمد بن علي الشوكاني (اللذَين كانا مقيمَين هناك وقتئذ)، والشيخ محمد إسحاق بن أفضل العمري الدهلوي، والشيخ محمد عابد السندي، وغيرهم. ممن أخذ عنه الشيخ حسين بن محسن الأنصاري – وهو أجلّ وأشهر الآخذين عنه – وأخوه زين العابدين بن محسن الأنصاري. ومن آثاره: رسالة في الصفات. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٢٢، كحالة، **معجم المؤلفين**، ج٣، ص٧٤٧.

[3] انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ج٣، ص١٦٩.

مسلمي الهند الذي ابتلوا بأدواء الجهل والعصبية والجمود في التقليد والبدع والخرافات. وقد أبدى القنوجي تأثُّرَه بالشوكاني وإعجابه به في ترجمة الحافظ محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي[1] في كتابه "التاج المكلَّل" حيث قال: "وقد غلبت عليه محبة شيخِه الحافظ ابن حجر[2]، فصار لا يخرج عن غالب أقواله، كما غلبت على ابن القيِّم[3] محبة شيخ ابن تيمية[4]، وعلى الهيثمي[1] محبة شيخه العراقي[2]"، وعليَّ محبة شيخي العلامة الشوكاني رحمه الله"[3].

---

[1] هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي (٨٣١ – ٩٠٢هـ): المحدِّث المؤرخ، المؤلف المكثر. أصله من "سخا" من قرى مصر، ومولده بالقاهرة، ووفاته بالمدينة. لازم الحافظَ ابن حجر وتخرَّج عليه في الحديث. صنَّف زهاء مئتي كتاب، ومنها في الحديث: "فتح المغيث في شرح ألفية الحديث للعراقي"، و"شرح التقريب للنووي"، والمقاصد الحسنة"، وفي التاريخ: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ" وغيرها. انظر: الشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٧٣٨، والزركلي: **الأعلام**، ج٦، ص١٩٤.

[2] هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل (٧٧٣-٨٥٢هـ): شيخ الإسلام، الإمام الحافظ. تخرَّج في الحديث على الحافظ العراقي. وله مؤلَّفات بديعة فيه مثل: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، و"تهذيب التهذيب"، و"تقريب التهذيب"، و"لسان الميزان"، و"الإصابة في تمييز الصحابة"، "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" وشرحه، و"بلوغ المرام من أدلة الأحكام"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ١٧٨.

[3] هو محمد بن أَبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، شمس الدَّين، المعروف بـ "ابن قيم الجوزية" (٦٩١-٧٥١هـ): المفسِّر المحدِّث، المجتهد المطلق، المصنّف المشهور. وُلد بدمشق وتوفي بها. لازم شيخَ الإسلام ابن تيمية واستفاد منه في جميع العلوم. وله نحو مئة مؤلف في موضوعات مختلفة. انظر: الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، ج٢، ٦٩٥.

[4] هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، أبو العباس، تقي الدين الشهير بـ"ابن تيمية" (٦٦١-٧٢٨هـ): الإمام المحدِّث، المجتهد المطلق. وُلد في "حَرَّان" وتوفي بدمشق. طلب العلم على أيدي علماء دمشق منذ صغره، وعُني بالحديث عناية خاصة. وله مؤلَّفات كثيرة، ومن أبرزها: "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية"، و"اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، و"مجموع الفتاوى"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص١٤٤.

فكما كان هؤلاء الأئمة لا يخرجون عن غالب أقوال مشايخهم مع رسوخهم في العلم، وإمامتهم في الفنون، كذا كان يحب القنوجي مع علمه وفضله ورسوخه في العلم أن ينشر علم شيخه الشوكاني بالواسطة، الذي رزقه الله موهبةً علمية وغيرةً دينية نادرة، مما جعل القنوجيَّ يتأثَّر به تأثراً شديداً، حيث إنه أقبل على كتبه في سنٍّ مبكِّر وطالع جميعَها بفرط شوقه، والتي عادت عليه بفوائد كبيرة كشفت عن نبوغه، وأظهرت همته العالية في طلب العلم، فأثَّر ذلك كله في مسيرته العلمية التي جعلته أحدَ مشاهير علماء الإسلام[٤].

رحلته إلى الحج:

خرج القنوجي إلى الحجاز عام ١٢٨٥هـ عن طريق البحر، ونزل في "عدن" التي تقع في الطريق، حيث التقى بعلمائها وشيوخها، واطَّلع على مخطوطات نادرة

---

[١] هو علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي المصري، نور الدين، أبو الحسن (٧٣٥ – ٨٠٧هـ): الإمام الزاهد، الحافظ المتقن. وُلد بالقاهرة وتوفي بها. لازم الحافظَ العراقي ورافقه في جميع رحلاته، وشاركه في جميع مسموعاته، وتخرَّج عليه في علم الحديث. له مصنفات جليلة، ومن أشهرها: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد". انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٧٠، والشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٤٨٠.

[٢] هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم المصري، زين الدين أبو الفضل (٧٢٥–٨٠٦هـ): الإمام الحجة، محدِّث الديار المصرية. وُلد بمنشاة المهراني بين مصر والقاهرة على شاطئ النيل. أخذ الحديث عن كبار علمائه في مصر في وقته، ثم رحل في طلبه إلى بلاد الشام الحجاز وسمع من علماءها. ومن مؤلفاته: "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار"، والتقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح"، و"الألفية" في مصطلح الحديث وغيرها. انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٥٥، والشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٣٩٢.

[٣] القنوجي، **التاج المكلل**، ص٤٤٠.

[٤] انظر: الأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان رحمه الله واحتسابه**، ص٥٦. والفريوائي، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، ص٣٤.

عندهم، فاستنسخ منها البعض[1]. وبعد أداء فريضة الحجِّ؛ مكث في مكة المكرمة أياماً، يحضر دروسَ العلماء في الحرم، ويستنسخ المخطوطات القيمة. وهكذا قضى وقته في المدينة المنورة[2]. وقد سجَّل القنوجي جميع وقائع وأحداث هذه الرحلة المباركة في كتاب سمَّاه: "رحلة الصديق إلى البيت العتيق"[3].

المناصب والأعمال التي تقلَّدها:

تدرَّج القنوجي في عدة مناصب إدارية في إمارة "بهوفال"[4]، ومن أهمِّها ما يلي:

١. وزيراً لشؤون التعليم.
٢. ورئيساً للديوان الأميري.
٣. ونائباً للملكة[5].

---

[1] منها: رسائل الأمير الصنعاني "صاحب سبل السلام"، و"اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية، و"نيل الأطار شرح منتقى الأخبار" و"إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في الأصول" للشوكاني. (انظر: القنوجي، **مآثر صديقي**، ج٢، ٧٧، ٨١، والندوي، **الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٠٢، ١٠٣).

[2] القنوجي، **مآثر صديقي**، ج٢، ٧٧، ٨١، والندوي، **الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٠٢، ١٠٣.

[3] طُبعت في مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، في عام ١٤٢٧هـ.

[4] من أشهر مدن الهند، تقع في وسطها، وهي اليوم تُعد في إحدى ولايات الهند، وكانت قبل استقلال الهند من الاستعمار البريطاني إحدى أكبر وأغنى الإمارات الإسلامية فيها بعد "إمارة حيدرآباد، الدَّكَن". انظر: عبد الحي الحسني، **الهند في العهد الإسلامي**، ص ٢٥٨.

[5] هي الأميرة شاه جهان بيغم بنت الأميرة سكندر بيغم (١٢٥٤ – ١٣١٩هـ): إحدى النساء الفاضلات النادرات في التاريخ، يُضرَب بها المثل في الذَّكاء والحفظ والكرم والجود. تعلَّمت العديدَ من العلوم والفنون، وبرعت في الأدب الفارسي، وتعلَّمت إدارةَ الدولة وأتقنتها، ووُلِّيت الإمارة في سنة ١٢٨٥هـ. فلمَّا توفي زوجها الأمير باقي محمد خان؛ تزوَّجت بالأمير صديق حسن خان القنوجي في سنة ١٢٨٨هـ. توفيت ببهوفال ودُفنت بها. وكانت امرأةً صالحةً، قرأت على القنوجي عدة علوم، وكانت محبةً للخير، وجهودها في ذلك كثيرة لا تُحصى. ولها كتب مشهورة، منها: ديوان الشعر، وتهذيب النِّسوان". انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٤٥، ١٢٤٦، والقنوجي، **التاج المكلل**، ص: ٥٤٣.

وبعد هذا المنصب الأخير؛ جلس القنوجي مجلس الحكم في أمور الدولة، حيث قام مقام الملكة التي أنعم الله عليه بزواجه منها بعد، فتولّى بعد زواجه الإمارةَ، وظلَّ عليها مدةً طويلة حتى وفاته[1].

صفاته الْخِلْقية والْخُلقية:

ذكر المترجمون للقنوجي في وصفه الخِلقي: أنه كان معتدلَ القامة، مليحَ اللّون، مائلاً إلى البياض، ممتلئ الوجنات، أقنى الأنف، واسِعَ الجبين، أسيلَ الوجه، جميلَ المحيا، بهيَّ المنظر، عريضَ ما بين المنكبين، متوسّطَ اللِّحية[2].

أما في وصفه الخُلقي فقالوا: إنَّه كان دمث الخُلق، حيياً، جمَّ التواضع، لا يعدّ نفسه إلا كآحاد الناس، لطيفَ المعاملة، حلوَّ المنطق، قليلَ الكلام، عفيفَ اللّسان، قليلَ الغضب، واسعَ الحلم، دائمَ البشر، حسنَ العشرة، ذا مرح وأناقة، مُحبّاً للناس، معترفاً لهم بالفضل، بريئاً من التذمُّر، قريباً من القلب والنفس، محباً للإنصاف والعدل.

وكان من أبرز صفاته: الشجاعة، كما تلوح من كتاباته، وذلك بإحقاق ما يراه أنه الحقّ، واحتسابه على المنكرات، وعدم مبالاته بلوم اللائمين وكيد الواشين أياً كانوا[3].

من ثناء العلماء عليه:

لقد حظي القنوجي بالمكانة العلمية المرموقة في أفئدة كثير من مُسلِمي بُلدان العالم الإسلامي، فكانت صِلاته وعلاقاته متشبّعةً بوسائل متنوّعة، والتي أتاحت له

---

[1] الأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص ٦١، ٦٢.

[2] انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٤٩، والأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص٨١، ٨٢.

[3] الأحمد،، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص ٧٩، ٨٠.

الشهرة الواسعة والسمعة الطيبة، فسمع به القريبُ والبعيد، وعرف العلماءُ له مكانته، وامتدحوه كثيراً وأثنوا عليه مراراً، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

فقد وصفه معاصره علامةُ الشَّام الشيخ عبد الرزاق البيطار[1] بأنه سيد علماء الهند في زمانه حيثُ قدم لذلك بقوله: "كان مُلِمّاً بالعلوم، متضلِّعاً منها بالمنطوق والمفهوم، ومجتهداً في إشاعتها، مجدِّداً لإذاعتها، مع كونه يرى ذاته الشريفة كآحاد المسلمين، ويتواضع مع كل واحد من الناس لله ربِّ العالمين، ويتحاشى عن الدنيا وزخارفها، ويتجافى بقلبه عن مراقيها معاطفها. أحيا السُّنّةَ الميتة في ذلك المكان بالأدلة البيضاء من السنة والفرقان، فهو سيد علماء الهند في زمانه"[2].

ووصفه مؤرِّخُ الهند الكبير الشيخ عبد الحي الحسني[3] بقوله: "علاَّمةُ الزمان، وترجمانُ الحديث والقرآن، ومحيي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية"[4].

وقال عنه عالم الحجاز الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ[5]: "كان آيةً من آيات الله في العِلم والعمل والأخلاق الفاضلة، والتمسُّك بالكتاب

---

[1] هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (ت١٣٣٥هـ): أحد أعلام مؤرخي دمشق، ومن كبار علماء الدين. ولد بدمشق في حي الميدان وتوفي بها. كان سلفي العقيدة، ومتبحراً في علم الحديث، اشتغل بالأدب مدة، ولكنه اقتصر في آخر أمره على علمي الكتاب والسنة. ومن مؤلَّفاته: "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، في ثلاثة مجلدات، ترجم فيه لمشاهير القرن الثالث عشر الهجري. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣٥١.

[2] عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، ج٢، ص٧٤٥.

[3] هو عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦-١٣٤١هـ: المؤرخ الشهير، العلامة البحاثة. قرأ الحديثَ على الشيخ نذير حسين الدهلوي. تولَّى رئاسةَ "دارالعلوم ندوة العلماء"مدةً طويلةً. وكانت له عناية جيدة بالحديث تأليفاً وتدريساً، ومن مؤلَّفاته فيه: "تهذيب الأخلاق" و"منتهى الأفكار في تلخيص الأخبار"، وشرح على "سنن أبي داود" لم يكمله. انظر: عبد العلي الحسني، في مقدمته لـ "**نزهة الخواطر**"، ج١، ص٢٨،٢٣.

[4] عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص٢٠٢.

[5] هو عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله (١٣٣٢-١٤٠٦هـ): من ذرية الإمام محمد بن عبد الوهاب

والسنة، صرف ما آتاه الله من المال والجاه في خدمة الإسلام والدين، وفي نشر عِلم الحديث والدعوة إلى العقيدة السلفية... "[1].

ووسمه علامةُ المغرب الحافظ المسند الشيخ عبد الحي الكتَّاني[2] بأنه: "من كبار مَن لهم اليدُ الطولى في إحياء كثيرٍ من كتب الحديث وعلومه بالهند وغيره، جزاه الله خيراً، وقد عَدَّ صاحبُ كتاب (عون الودود على سنن أبي داود) المترجَمَ له[3] أحدَ المجدِّدين على رأس المئة الرابعة عشرة"[4].

وأثنى عليه العلاَّمة أبو الحسن النَّدوي[5] ثناءاً بالغاً في مقدِّمة كتاب "الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره"، ومما قال فيها: "ومما يمتاز به الأمير بين

النجدي، وُلد في مدينة الرياض ونشأ بها، لازم حِلَق الذكر في مساجدها، ثم انتقل مع والده إلى مكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ وقرأ على جملة من العلماء الذين كانوا يفدون إليها. له تآليف منها: "مشاهير علماء نجد وغيرهم"، و"دعوة الشيخ ومناصروها"، و"علماء الدعوة "، و"نسب آل سعود". (انظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، ج٣، ص٨٣، ٨٧).

[1] آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ص ٤٥٧.

[2] هو السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني (١٣٠٢-١٣٨٢هـ): العلامة الكبير، حافظ المغرب الشهير، المؤرِّخ النسّابة، من سلالة آل البيت. وُلد بمدينة "فاس" ببلاد المغرب الأقصى وبها نشأ، وتلقَّى العلم على يد كبار علمائها ومن الوافدين عليها من كبار أهل العلم من جميع الأصقاع. درَّس في الزاوية الكتانية بفاس وبجامع القرويين، وتتلمذ على يده العدد الكثير من أفاضل العلماء. توفي بفرنسا. وكانت له عناية خاصة بالحديث. وله مؤلَّفات كثيرة تربو على المئتين في مختلف العلوم والفنون. انظر: يوسف المرعشلي، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج٢، ص١٢٩٢.

[3] أي الأمير صديق حسن خان القنوجي.

[4] الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠٥٧.

[5] هو أبو الحسن علي الحسني الندوي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٣٣٣-١٤٢٠هـ): أحد أعلام الدعوة الإسلامية، وأقطاب الفكر الإسلامي. وُلد بقرية "تكيّة كلان" قُرب "لكهنؤ" وتوفي بها. أكمل دراسته في "دار العلوم ندوة العلماء"، ثم عمل بها مدرّساً فرئيساً. نال جائزةَ الملك فيصل العالميّة لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ومن أشهر مؤلفاته: "السيرة النبوية"، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية

أقرانه، ويخلِّد ذِكره في تاريخ العلم والإصلاح في الهند؛ جمعُه بين الرئاستين: العِلمية والعَمَلية، الذي لا يتأتَّى إلا لأفراد الناس في فترات قليلة...، وقد قام في مجال التأليف والإنتاج العلمي بما لو قامت به مجامعُ علمية كبيرة في الشرق أو الغرب؛ لاستحقَّت الإعجابَ والتقدير..."[1].

وغير ذلك من كلمات كثيرة لكبار علماء العالم الإسلامي، قيلت في القنوجي مدحاً له وثناءً على ما قام به من نهضة علمية في نشر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفاته:

أُصيب القنوجي في آخر عمره بمرض الاستسقاء، والذي اشتدَّ به شيئاً فشيئاً حتى عجز الأطباء عن علاجه، حتى وافاه أجله المحتوم في ليلة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧هـ[2].

خلفه:

رُزق القنوجيُّ – رحمه الله تعالى – من الأولاد: ابنان وبنت، وها هي تراجمهم المختصرة:

١ – الشيخ أبو الخير سيد نور الحسن خان القنوجي (١٢٨٨–١٣٣٦هـ)[3]:

والفكرة الغربية"، و"ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين؟"، و"رجال الفكر والدعوة في الإسلام". انظر: سيد عبد الماجد الغوري، **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، ص١٤٦، ٣٤١.

[1] الندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره**، ص ١١.

[2] عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٤٨، والندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص ١٥٣.

[3] انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٣٩٥، ١٣٩٦، والندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٥٥، ١٥٦.

وُلد في إمارة "بهوفال"، ونشأ على الورع والصلاح في بيئة علمية بحتة، وتلقَّى العلمَ عن والده وعن كبار العلماء الموجودين في الإمارة من الهند واليمن. وكان شاعراً مجيداً بالأردية، وقد ورث من والده مكتبةً ضخمةً تحتوي على نفائس الكتب ونوادر المخطوطات، وكان يعتني بها أشد العناية، وأهداها قبل وفاته إلى "دارالعلوم ندوة العلماء" بلكنؤ.

كان له اشتغال بعلوم السنة والتفسير، فقد نسب إليه والده بعض مؤلَّفاته ک "فتح العلاَّم" وكتاب "الغنة". وله كذلك مؤلّفات مفيدة ألَّفها بنفسه مثل: "الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات"، و"منتخب عمل اليوم والليلة" لابن السُّنّي أحمد بن محمد بن إسحاق (ت٣٦٤هـ). و"منتخب مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين" للصَّاغاني رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد اللاَّهُوْرِي (ت٦٥٠هـ).

٢ – والشيخ أبو النصر سيد علي حسن خان الطاهر القنوجي (١٢٨٩–١٣٥٥هـ)[1]:

وُلد في إمارة "بُوفال"، وقرأ على علمائها. وكان أديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً بالأردية. انتنخب أميناً عاماً لـ"دارالعلوم ندوة العلماء" عام ١٣٤١هـ، وبقي على هذا المنصب حتى وفاته.

وله عدة مؤلَّفات بالعربية والأردية في الدين والأدب، منها: "الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد"، و"فطرة الإسلام"، و"شريعة الإسلام"، و"سيرة الإسلام"، و"المدنية في الإسلام" و"مآثر الصديقي" (وهو كتابٌ ضخم في أربع مجلَّدات في سيرة والده)، وغير ذلك كتب كثيرة.

---

[1] انظر: الندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٥٦.

المطلب الثاني: مساهمته في خدمة الحديث النبوي

إن الأمير صديق حسن خان القنوجي – رحمه الله تعالى – العالِم الأوحد من علماء هذه البلاد التي قيَّضه الله لخدمة حديث نبيِّه المصطفى عليه الصلاة والسلام، بشتّى الطرق والوسائل التي سخَّرها الله له، وسأذكر بعضاً منها بتفصيل فيما يأتي:

(أ) جلبُ المحدِّثين إلى الهند من اليمن:

وهذا لا شكّ من مآثر القنوجي الجليلة، حيث كان السببَ الرئيس في انتقال بعض المحدِّثين الكبار من اليمن إلى الهند، وإقامتهم الدائمة فيها، مثل المحدِّث المسنِد الشيخ حسين بن مُحسن الأنصاري اليماني[1] الذي قدم الهندَ وأقام في إمارة "بهوفال" حتى وفاته، فكانت إقامته في هذه الإمارة قد أثمرت نتائج عظيمة، كما ذكرها الشيخ أبو الحسن الندوي – رحمه الله تعالى — في ترجمته حيث قال: "وكانت إقامة الشيخ حسين بن محسن في بهوفال قد جعلتها مدرسةً للحديث تُضاهي شيرازَ واليمن، وظلَّ (مُوْتِي مسجد)[2] ببهوفال مثل الأزهر الشريف، يدوِّي صوت: (قال: قال رسول الله ﷺ) أكثر من ثلاثين سنة، وانتشر عبيره في أنحاء الهند المختلفة"[3]، وقد انتهت إلى هذا الشيخ الجليل رئاسةُ تدريس الحديث النبوي في عصره، وانتشرت إجازاته في الهند بين علمائها في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وتخرَّج عليه أئمةُ تدريس الحديث وكبار أساتذته في هذه البلاد.

كذلك بوجود القنوجي على منصّة رئاسة وإمارة "بهوفال"، وإقامةِ المحدِّث الشيخ حسين اليماني في جواره وحِماه؛ أصبحت تلك الإمارةُ محطَّ رحال العلماء، ومنتجعَ رُوَّاد الحديث، وكانت لعِلم الحديث نهضةٌ وانتفاضةٌ لا نظيرَ لها حتى في

---

[1] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[2] أحد أشهر وأجمل مساجد "بهوفال"، بُني في عهدها الإسلامي، وكان محطَّ العلماء والمحدِّثين.

[3] الندوي، **شخصيات وكتب**، ص٧٧.

البلاد العربية، وفي مراكز هذا العلم القديمة. ونشطت حركة التأليف والتدريس والشرح في طول الهند وعرضها، وكان للسُّنَّة وحَمَلَتِها، والدعاة إليها جولةٌ وصولةٌ، وكان لأهل البِدَع ضعفٌ واختفاءٌ، في ربوع هذه الإمارة الإسلامية، التي مَلَك القنوجيُّ زمامَ الأمور فيها مدةً من الزمن، وكانت له فيها الكلمة المسموعة، والأعلام المرفوعة[1].

(ب) إحياء التراث النبوي:

كان القنوجي محباً للعلم ومغرماً بالكتب منذ صِغره، ويرجع الفضل في ذلك إلى أسرته العلمية التي توارث رجالها هذا الشغف أكابر عن أكابر، وكان والده الشيخ حسن بن علي القنوجي[2] مشغوفاً بقراءة الكتب وجمعها، وكان له مبخِّرٌ خاصٌّ، يأخذ المخطوطات ويعرضها في الشمس أمداً طويلاً، كي تنجو من التلف المنتظر، فلفت القنوجيَّ هذا المشهدُ وهو طفل صغير، وجعل منذ نشأته يرقب هذا العملَ في شغف[3]، فكان يتصفَّح تلك المخطوطات والكتب، ويتشوّق إلى معرفة الجديد منها، فلما عُيِّن ناظراً للمعارف في إمارة "بهوفال" سنحت له فرصة عظيمة لاقتناء المخطوطات النادرة والكتب النفيسة من مكتبات أنحاء العالم الإسلامي، والتي كان ينشرها ويوزِّعها مجاناً على المجامع والمكتبات.

وهكذا استطاع القنوجي أن يقتني مجموعةً كبيرة من المخطوطات والكتب، وصارت لديه مكتبة غنية وعامرة بها لم يكن لها نظير في طول الهند

---

[1] أبو الحسن علي الحسني الندوي، في مقدمته لكتاب **"الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره"**، للدكتور محمد اجتباء الندوي، ص١٢.

[2] هو أولاد حسن بن أولاد علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٢١٠-١٢٥٣هـ): الشيخ الفاضل. وُلد بـ"قنوج "وتوفي بها. أخذ العلم عن الشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي، ثم لازم الإمامَ الشهيد أحمد بن عرفان، وجاهد معه في سبيل الله. وله مؤلَّفات في ثلاثة لغات: العربية والفارسية والأردية. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٣١، والقنوجي، **أبجد العلوم**، ص٧٢٢.

[3] البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، ج٤، ص١١٩.

وعرضها، وقد أشار إلى ذلك بنفسه في كتابه "إبقاء المنن بإلقاء المحن"[1]، حيث قال: "وهكذا تجمَّع لديَّ من ذخائر الكتب الثمينة الكبيرة لمؤلَّفات: ابن حجر العسقلاني[2]، والذهبي[3]، والشَّعْرَاني[4]، والْمُنْذِري[5]، والسَّفَّارِيْنِي[6]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[7]، والحافظ ابن قيِّم[8]، وابن رجب الحنبلي[9]، وابن الجوزي[10]، والسيوطي[1]

---

[1] وهو كسيرته الذاتية، سجَّل فيه بعض وقائع حياته.

[2] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[3] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[4] هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي – نسبةً إلى محمد ابن الحنفية – الشعراني، أبو محمد (٨٩٨ – ٩٧٣هـ): من علماء المتصوفين. وُلد في "قلقشندة" بمصر وتوفي في القاهرة. وله تصانيف كثيرة في التصوف والوعظ الرقائق، ومنها في الحديث: "البدر المنير". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١٨٠، ١٨١.

[5] هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، زكي الدين، أبو محمد (٥٨١ – ٦٥٦هـ): من حفاظ الحديث، وكبار المؤرخين في عصره. مولده ووفاته بالقاهرة. تولَّى مشيخةَ "دار الحديث الكاملية" بالقاهرة نحو عشرين سنة، وعكف فيها على التأليف والتحديث، ومن مصنفاته: "الترغيب والترهيب"، و"مختصر صحيح مسلم"، و"مختصر سنن أبي داود"، و"التكملة لوفيات النقلة" وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٣٠.

[6] هو محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّاريني، شمس الدين، أبو العون (١١١٤ – ١١٨٨هـ): عالم بالحديث والأصول والأدب، محقِّق. وُلد في "سَفَّارين" من قرى "نابلس"، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرَّس وأفاد وأفتى، وتوفي فيها. ومن كتبه: "الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات"، و"كشف اللثام شرح عمدة الأحكام"، و"غرامي صحيح"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص١٤.

[7] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[8] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[9] هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين (٧٣٦–٧٩٥هـ): ٧٩٥هـ): من حفاظ الحديث وعلمائه الأجلاء. وُلد ونشأ في بغداد، وتوفي بدمشق. وله مصنفات كثيرة، منها: "شرح علل الترمذي"، و"جامع العلوم والحكم"، وكان قد بدأ بشرح "صحيح البخاري" وسمَّاه بـ"فتح الباري" لكنه لم يكمله، وكذلك الحال بالنسبة إلى "جامع الترمذي". (انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٢٩٥).

[10] هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨–٥٩٧هـ): فقيهٌ حنبليٌّ، محدِّثٌ ومؤرِّخٌ ومتكلِّمٌ، برز في كثير من العلوم والفنون، وألَّف في معظمها. مَولِده ووفاته ببغداد. له نحو

وأئمة اليمن وغيرهم، ومؤلَّفات السيد الأمير محمد بن إسماعيل[٢] والقاضي محمد بن علي الشوكاني[٣] وغيرها خاصةً، رضي الله عنهم أجمعين. وانعدمت هذه الكتب من عالمنا اليوم كالكبريت الأحمر وعنقاء المغرب، وأنفقتُ عليها مبالغ كثيرة تصل إلى مئات آلاف من الروبيات، وإنني انتفعت من تلك الآثار المقدَّسة كثيراً، ولله الحمد"[٤].

ومن الجدير ذكره هنا أنَّ بعضاً من تلك الكتب كانت متحليةً بإمضاءات مؤلِّفيها كالحافظ ابن حجر، والشوكاني، والأمير إسماعيل الصنعاني وغيرهم، وبذلك يُقدَّر مدى حُبِّه وشغفه بالعلم والكتب، وإحياء التراث الإسلامي العظيم، فقد أنفق على اقتنائه مبالغ كثيرة من جيبه الخاص.

وكذلك من مآثره التي لا تُنسى، ولا يغمط حقُّها أنه كان أول من قام بطبع بعض كتب قيمة على نفقته الخاصة، وأهداها إلى أهل العلم في كل العالم الإسلامي، منها على سبيل المثال:

ثلاثمئة مصنَّف. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣١٦.

[١] هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين (٨٤٩ – ٩١١هـ): إمام حافظ، مؤرِّخ أديب، كثيرُ التصانيف، مولده ووفاته بالقاهرة. رحل في طلب العلم إلى بلاد كثيرة وأخذ عن كبار علمائها، ومن أجلِّهم الحافظ ابن حجر العسقلاني. وله نحو ستمئة مصنَّف. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٣، ص٣٠١.

[٢] هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بـ"الأمير" يُلقَّب "المؤيّد بالله" (١٠٩٩-١١٨٢هـ): المحدِّث الفقيه. وُلد بمدينة "كحلان" وتوفي بـ"صنعاء". رحل إلى الحجاز وقرأ الحديثَ على أكابر علمائها، وبرع في جميع العلوم، وتفرَّد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهَّر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد. ومن مؤلفاته: "توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار"، و"سبل السلام شرح بلوغ المرام". انظر: الشوكاني، **البدر الطالع**، ج٢، ص٦٨٦، ٦٨١.

[٣] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[٤] القنوجي، **إبقاء المنن بإلقاء المحن**، ص٢٢.

١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، والذي لم تكن له نسخة في الهند، فاشتراها القنوجي من الحُدَيْدَة باليمن، والتي كانت بخطِّ ابن عَلاَّن[١]، وطبعها بمطبعة بولاق في القاهرة.

٢- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير، أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، طبعه مع تفسيره "فتح البيان".

٣- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: للإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ).

لقد طُبعت هذه الكتب في عدد الآلاف بأمر القنوجي، ووُزِّعت مجاناً على أهل العلم والمكتبات العامة والمجامع العلمية في بلدان العالم الإسلامي، وكان يتولَّى أمورَ طباعتها خارجَ الهند الشيخُ أحمد البابي الحلبي[٢] أحد كبار الناشرين وقتئذ لكتب التراث الإسلامي في العالم الإسلامي[٣].

---

[١] هو محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (٩٩٦-١٠٥٧هـ): مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة. له مصنفات ورسائل كثيرة، منها: "ضياء السبيل" في التفسير، و"دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين". (انظر: **الزركلي، الأعلام**، ج٦، ص٢٩٣).

[٢] لم يعثر الباحث على ترجمته، غير أنه كان من رواد حركة الطباعة والنشر في العالم الإسلامي، وكان أصله من حلب في سوريا، هاجر إلى مصر واستوطنها، وأسَّس المطبعة الميمنية عام ١٨٥٩م، والتي امتازت بعنايتها الفائقة بطبع الموسوعات، ونشرت كثيراً من عيون التراث. سلَّم المطبعة إلى أبناء أخيه قبل وفاته، الذين غيّروا اسمها إلى "شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده". انظر: **جريدة "المصري اليوم"** (الصادرة عن مؤسسة المصري اليوم للصحافة والنشر بالقاهرة)، العدد١٩٠٨، تاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٩م، ص٢.

[٣] أبو يحيى إمام خان النوشهري، **تراجم علماء أهل حديث**، (دهلي: برقي بريس، ط١، ١٣٥٦هـ)، ص٢٨٢، والقنوجي، **مآثر صديقي**، ج٤، ص١٦٨.

(جـــ) إسهامه في خدمة الحديث من خلال التصنيف والتأليف:

رُزق القنوجي مُكنةً تامة من الحديث النبوي وعلومه، كما تشهد بذلك مؤلَّفاته في هذا المجال، والتي تنبئ عن قدرته الفائقة في الاستدلال بالأحاديث النبوية، والاستنباط منها في شرح الأحكام الفقهية والمسائل العويصة.

وهذه بعض أهمّ مؤلَّفاته في الحديث النبوي أعرِّفها فيما يلي، وأما التي ليست ذات أهمية كبيرة منها فأكتفي بسرد أسمائها فقط مع الإشارة إلى مكان نشرها وسنة طباعتها.

بالعربية:

١ – عون الباري لحل أدلة البخاري.

إنَّ "الجامع الصحيح" للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) من أصحِّ الكتب المؤلَّفة في بابه، والمتلقَّى بالقبول من العلماء في كل زمان ومكان، وقد فاق أمثاله، وخُصَّ بمزايا من بين دواوين الإسلام، شهد له بالبراعة الصناديدُ العظام، والأفاضلُ الكرام.

لذا فقد اعتنى العلماء به؛ حفظاً، وسماعاً، وضبطاً، وتفسيراً، وشرحاً، واختصاراً، فكان ممن اختصره الشيخ أحمد الزَّبِيْدِيّ الشَّرْجِي[١] باسم "التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح"، ومن باب الإفادة من هذا المختصر قام القنوجي بشرحه شرحاً مختصراً يفيد القارئ، فأتى بما عَزَّ عند أولي العِلم وجلّ، كاشفاً أدلّته لطالبيه، موضِّحاً مشكله، فاتحاً مقفله، مقيِّداً مهمله، مستمداً من كلام أئمة هذا الشأن، محرِّراً لأقاويله، مُعرِباً عن مُجمَلاته وتفاصيله. كما أنه أفاد من

---

[١] هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجي، شهاب الدين، المعروف بـ "الزَّبيديّ" (٨١٢ – ٨٩٣هـ): محدِّث البلاد اليمنية في عصره. ومن مصنفاته: "التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح"، وهو مختصر لصحيح البخاري، ويُعرَف بـ"مختصر الزبيدي"، و"طبقات الخواص" في سير أولياء اليمن، و"الفوائد"، و"نزهة الأحباب". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٩١.

كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) وتلميذه الإمام ابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، والسائرِ على منوالهما الإمام محمد بن علي الشَّوكاني (ت١٢٥٥هـ) في مواطن كثيرةٍ جداً من هذا الشرح، وأحال في مواضع أُخَر إلى جملة من كتبه المفيدة. أمّا المنهج الذي اتَّخذه في شرح هذا الكتاب فهو كما يلي:

- اعتمد في شرح هذا الكتاب على الشروح الثلاثة المتداولة وهي: "فتح الباري" للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، و"عُمدة القارئ" للعَيْنِيّ أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ)، "وإرشاد السَّاري" للقَسْطَلاَّني أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المصري (ت٩٢٣هـ). ولا يتجاوز عمله في الكتاب عن الاختصار والنسخ من هذه الشروح الثلاثة، ومما يدل على ذلك قوله المتكرّر في الكتاب، مثل ما في الجزء الخامس منه، حيث يقول: "وهنا تمَّ الجزء السادس من فتح الباري، والجزء السابع من إرشاد الساري"[١]. واكتفى بمقدمة الفتح عن أي تفاصيل متعلقة بالصحيح فأحال القارئَ إليها[٢]، وكثيراً ما يُجمِل الكلامَ ثم يقول: "ويظهر تفصيل هذا الإجمال من الرجوع إلى فتح الباري"[٣].

ونقل ختمَ الحافظ ابن حجر للفتح والقسطلاني للإرشاد بتماميهما، بل أفصح القنوجي عن حقيقة شرحه فقال: "وبالجملة فشرحي هذا نتيجة فتح الباري، وزبدة إرشاد الساري"[٤].

وهذه النصوص تدلُّ على أنَّ الكتاب مختصَرٌ، ومبنيٌّ على الشروح السابقة المذكورة، ولكن مع ذلك تبقى للكتاب أهمية لكونه قد انتقى الأقوالَ من

---

[١] القنوجي، **عون الباري**، ج٥، ٣٤.

[٢] المرجع السابق، ج١، ١٩.

[٣] المرجع السابق، ج١، ١٦.

[٤] المرجع السابق، ج٥، ص٧٥٦.

تلك الشروح ورتَّبها على نحو يسهل على القارئ العام الاستفادة منه أكثر من تلك الشروح.

- وأنه لم يتطرَّق في هذا الشرح للكلام عن الإسناد، والرجال، ونُكَت الجرح والتعديل، والعِلَل، والتعقيبات، والتخريجات، والمناقشات التي تتعلَّق بهذه الفنون؛ ولعلَّ ذلك لكون الأصل (أي كتاب "مختصر صحيح البخاري" للزبيدي) الذي بنى عليه شرحه؛ كان مجرَّداً عن الأسانيد، فلم تكن حاجة له إلى التصدِّي لتلك المباحث.

ولكنه مع ذلك ذكر لطائفَ إسناد البخاري، مع خلوِّ مختصر الزبيدي من الإسناد، واقتصارِه على ذكر الصحابي فقط، من ذلك قوله: "ورجال إسناد هذا الحديث كلهم مدنيون إلا أبا الربيع. وفيهم تابعي عن تابعي، وفيه التحديث والعنعنة، وأخرجه البخاري أيضاً في الوصايا والشهادات والأدب، ومسلم في الإيمان، والترمذي والنسائي"[1].

ومن ذلك قوله:" ورجال إسناد هذا الحديث كلهم بصريون، وفيه ثلاثة من التابعين، يروي بعضهم عن بعض، وهم: أيوب، والحسن، والأحنف. واشتمل على التحديث والعنعنة والسماع"[2].

ومن ذلك قوله: "وفي إسناده رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعض، وهم: الأعمش، عن إبراهيم النَّخعي، عن علقمة بن قيس. والثلاثة كوفيون فقهاء، وهذا أحد ما قيل فيه: (إنه أصَحّ الأسانيد)، وأمن تدليس الأعمش بما وقع عند البخاري: (حدَّثَنا إبراهيم)، وفيه التحديث بصورة الجمع والإفراد والعنعنة"[3].

---

[1] المرجع السابق، ج١، ص١٣٦.

[2] المرجع السابق، ج١، ص١٣٢.

[3] المرجع السابق، ج١، ص١٣٤.

وغير ذلك أمثلة كثيرة في الكتاب، حيث ذكر القنوجي إثر ذِكر الحديث لطائفَ إسناده التي لم يذكرها الزبيدي في مختصر الصحيح، وذلك نقلاً عن ابن حجر في "الفتح" وعن العيني في "العمدة" دون عزوها إليهما، وهما قد ذكراها لمناسبة وجود الأحاديث مسندةً في شرحيهما، أما القنوجي فلم يكن له داعية إلى ذلك لكونه شرح كتاباً مجرَّداً عن الأسانيد، فهذا مما يُؤاخَذ عليه في شرح هذا الكتاب.

٢ – السِّراج الوهَّاج في كشف مطالب مختصر صحيح مسلم بن الحجَّاج (أو: "السِّراج الوهَّاج في كشف مطالب مسلم بن الحجّاج شرح مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري"):

يُعتبَر كتاب "المسند الصحيح" للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيسابوري (ت٢٦١هـ) من أصحِّ كتب الحديث بعد "صحيح البخاري"، حتى عُرف فيما بعد بين العلماء بلقب "الصحيح الثاني". فهو يتميَّز عن "صحيح البخاري" بخصائص علمية، وأهمّها ترتيب الأحاديث في معظم أبوابها حسب صحتها وسلامتها من العيوب والنقائص. فلذلك عُدّ هذا الكتابُ من الكتب التي أصبحت عمادَ علوم الدين، ومصدرَها الموثوق الذي لا يستغني عنه أحد من طلاب العلم.

ونظراً إلى أهمية هذا الكتاب العظيمة من بين كتب الحديث؛ تناوله علماء الأمة بالرواية والدراسة، والشرح، والتخريج، والاختصار، فممن اختصره الحافظ المنذري[١]، ثم قام بشرح مختصرِه القنوجيُّ في هذا الكتاب، وذكر في مقدمته أنه

[١] سبقت ترجمته في هذا المطلب.

شرح وسط، وقد حرَّره تحريراً بالغاً، وأتى فيه بالفوائد والنكات والمسائل المنتقاة المفيدة[1].

لم يتكلَّم القنوجي في شرحه لهذا الكتاب على الأسانيد، ولعلَّ سبب ذلك أن الأصل (أي "مختصر صحيح مسلم" للمنذري) الذي اعتمد عليه في هذا الشرح كان مجرَّداً عن الأسانيد؛ فلذلك قصر القنوجي الكلامَ على متون الحديث فقط، كما أنه لم يتعرَّض فيه لشرح مقدمة الإمام مسلم، لكون الأصل مجرَّداً عنها.

وقد مشى القنوجي خلف المنذري في مختصره، كما ذكر هو نفسه: "وأضربتُ فيه عما ذكره الإمام النووي[2] – رحمه الله تعالى– في مقدمة شرحه لـ (صحيح مسلم)، وفي مطاوي فحاويه مما يتعلَّق برجال الإسناد، وتقسيم الحديث إلى أقسام، وما إليها قبل الشروع في الشرح في فصول متتابعة، فطويت الكشح عن ذلك كله"[3]. فعُلم بذلك أن الشرح خاصٌّ بمتون "صحيح مسلم".

واكتفى القنوجي في شرحه بمقدمة تشتمل على فصول أُخذت باختصار من مقدمة "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" للإمام النووي (ت٦٧٦هـ)[4].

أما منهج القنوجي في هذا الكتاب فهو لا يزيد عن ذكر عنوان الباب، ثم متن الحديث، مع الاقتصار على ذكر صحابيّ الحديث فقط، ولا يترجم للصحابي،

---

[1] القنوجي، مقدمة **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج١، ص١٠.

[2] هو يحيى بن شرف بن مرِّي النووي الشافعي، محيي الدين، أبو زكريا الدمشقي (٦٣١ – ٦٧٦هـ): أحد أشهر فقهاء السنة ومحدّثيهم. وُلد في قرية "نوى" في حوران بسوريا وتوفي بها. ومن أشهر مؤلّفاته في الحديث: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، و"رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"الأربعون النووية"، و"إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة الحق من هدي خير الخلائق". انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج٤، ص ١٤٧٠-١٤٧٤.

[3] القنوجي، **مقدمة السراج الوهاج**، ج١، ص١٢،٩،١.

[4] القنوجي، **السراج الوهاج**، ١٧،١٣،١.

ثم يشرع في الشرح معتمداً على شرح النووي لصحيح مسلم، بدون التعلُّق بمباحث الإسناد. بل إنه بنى شرحه على شرح النووي؛ حيث لم يأت فيه بشيء جديد من عنده، فقد اكتفى بنقل نصوص العبارات برمتها من شرح النووي، وقد ينتقي منها أحياناً فيتكلَّم إذا تكلَّم النووي، ويسكت إذا سكت.

٣ - فتح الإعلام لشرح بلوغ المرام.

إن كتاب "بلوغ المرام من أحاديث الأحكام" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) يُعَدّ من أهمّ الكتب التي تشتمل على أحاديث الأحكام، فقد جمع فيه - رحمه الله تعالى - الأحاديث التي استنبط منها الفقهاءُ الأحكامَ الفقهية، مبيِّناً عقب كل منها مَن أخرجه من أئمة الحديث، موضِّحاً درجةَ الحديث من صحة أو حسن أو ضعف، مرتِّباً له على أبواب الفقه، وضمَّ إلى ذلك في آخر الكتاب قسماً مهماً في الآداب والأخلاق والذكر والدعاء[١].

لقد اعتنى العلماء بشرح هذا الكتاب اعتناءاً كبيراً، حتى وُجدت له عدة شروح ما بين الصغير والكبير ومن أهمّها وأشهرها: "سُبُل السَّلام"، الذي اختصر فيه صاحبُه الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني كتابَ "البدر التَّمام" للقاضي شرف الدين. ثم اختار القنوجيُّ هذا الشرحَ وبنى عليه شرحه "فتح الإعلام"، حيث نقل منه جميعَ نصوصه برُمَّتها، ثم قام فيه بتعديلات يسيرة، ثم نسبه إلى ابنه الأمير نور الحسن القنوجي[٢].

فلذلك كلُّ مَن يتصفَّح هذا الشرحَ يبدو له بادئ ذي البدء أنه بحروفه مأخوذ من "سبل السلام" للصنعاني، "والسبلُ" يغني عنه، لكن الذي يقرأ مقدمة القنوجي يُدرك الفرقَ بينه وبين السبل، حيث إن القنوجي لم يرض بصنيع الصنعاني

---

[١] محمد بن جعفر الكتاني، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، ص١٨٠.

[٢] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

في شرحه "سبل السلام" في بيان رأي أئمة العلم المعتمدين في فقه الحديث والاستدلال به، لكونه عُني فيه بآراء علماء "الزيدية"[1] ولا سيما "الهادوية"[2] وغيرهم من الفِرَق مع المذاهب الأربعة، مما يشوِّش القارئَ ويشكِّكه في معلوماته الفقهية، أو يعطيه معلومات خاطئة عن المذاهب، ولهذا كله ضرره العلمي والعملي.

وهذا ما حدا بالقنوجيِّ إلى أن يبني شرحه على شرح الصنعاني، بحذف ما فيه تلك المذاهب الفقهية المهجورة والمغمورة، وإبقاءِ المذاهب الأربعة المتبوعة المشهورة المعتبرة، وإيرادِ أقوال الأئمة أمثال ابن تيميه وابن القيِّم والشَّوكاني أحياناً. فكتابه من هذه الحيثية نافعٌ جداً، وإلا فمنهجُ الصنعاني في كتابه "السبل" نفسُ منهج القنوجي في "الفتح" لكونه اعتمد عليه اعتماداً كلياً.

٤ – الحِطَّة في ذكر الصِّحاح السِّتّة.

وهو من أهمّ مؤلَّفات القنوجي في الحديث، فقد جمع فيه لشتات كثير من المسائل النفيسة الفريدة، كما ضمَّنه أبحاثاً نافعة لا تكاد توجد مجموعةً في كتاب آخر.

بدأ القنوجي الكتابَ بمقدمة قيمة تشتمل على فصلين، أولهما في فضيلة العلم والعلماء، وما ينصُّ بها من الفوائد العليا. والثاني في شرف علم الحديث وفضيلة المحدِّثين.

---

[1] إحدى فرق الشيعة، تنتسب إلى مؤسِّسها الإمام زيد بن علي زين العابدين (ت١٢٢هـ)، لكنهم متفقون مع أهل السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع. انظر: محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ص٦٣٣، ٦٦٩.

[2] إحدى فِرَق "الزيدية"، تنتسب إلى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (ت٢٩٨هـ)، الذي عُقدت له الإمامة باليمن. تعتقد هذه الفرقة نفس عقائد فرقة الزيدية، وإذا أطلق اسم الهادوية قصد به في الغالب المذهب الفقهي لهذه الفرقة. انظر: محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ص٦٦٦، ٦٦٧.

ثم ذكر في الباب الأول مبادئَ هامة تتعلَّق بعلم الحديث، مثل: مبدأ جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه وتأليفه ونشره، ومبدأ اختلاف الأغراض في تصانيف علم الحديث عند مصنِّفيها، ومبدأ أنواع كتب الحديث من الرواية والدراية، وما إلى ذلك.

ثم ذكر في الباب الثاني العلومَ المتفرِّعة عن علم الحديث، المتصلة به، فبدأ بتعريف علم رواية الحديث ودرايته، ثم ذكر علم ناسخ الحديث ومنسوخه، والنظر في الأسانيد، وعلم الجرح والتعديل، وعلم أسماء الرجال، وعلم غريب الحديث وغيرها من العلوم.

وفي الباب الثالث ذكر ما يتعلَّق بطبقات كتب الحديث، والأحاديث المحتجّ بها في الأحكام، وضبط الحديث وقراءته وتحمُّله، وصفة المحدِّث والطالب، وغير ذلك مما يتعلَّق به، وهو بحث مفيد ممتع، ومشحون بالمعلومات الواسعة العميقة.

أما الباب الرابع – وهو مقصود الكتاب – فقد ذكر فيه الكتبَ السِّتّة، وما يتعلَّق بها من فضائل وشروح وحواش واستدراكات، وذكر أهميتَها وثناءَ العلماء عليها، وغير ذلك مما يَسُرُّ الناظرَ فيه. كما أضاف في نفس هذا الباب الكلامَ على "موطأ الإمام مالك" – وكان قد بدأ الكلام عليه قبل الكتب السِّتة – ثم ختم كلامَه في ذلك حول "مسند الإمام أحمد بن حنبل" وما يتعلَّق به، وفي هذا الباب فرائد الفوائد النفيسة قلما توجد مجتمعةً مثلها في كتاب آخر.

والباب الخامس – وهو الأخير – خصَّه لتراجم الأئمة الثمانية، فذكر سِيَرهم، وما قيل في مدحهم والثناء عليهم، وذكر فضائلهم[1].

وأما خاتمة الكتاب فخصَّصها بالترجمة لنفسه، وذكرِ أسانيده للعلوم النقلية والعقلية.

---

[1] انظر: علي حسن الحلبي الأثري، مقدمته لكتاب "**الحطة في ذكر الصحاح الستة**"، ص١٢، ١٣.

ومما يُلاحَظ في كل هذا الكتاب أن القنوجي لم يتطرَّق فيه إلى المباحث المعروفة في علم مصطلح الحديث، من ذكرِ تعريفات الحديث وأقسامه وأحكامه، وذكرِ الأمثلة على ذلك، كما هو شأن كتب مصطلح الحديث، فلذلك يُعتبَر هذا الكتابُ تتميماً لكتب المصطلح، وليس تكراراً لما فيها، وهذه ميزة مهمة قد لا توجد في كتاب غيره.

ولكن وقع في الكتاب عدد من الأوهام، وندَّت بعض الهفوات، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد عبد الحي الكتَّاني[1] في كتابه "فهرس الفهارس"[2]، والشيخ علي حسن الأثري الحلبي[3] في تعليقاته على هذا الكتاب.

وكذلك مما ينتقد على القنوجي في هذا الكتاب أنه تساهل في تسميته للكتب الستة بـ "الصحاح" – وإن كانت التسمية بذلك بطريق التغليب – فإنَّ فيه تساهلاً واضحاً لا يخفى، وقد أشار إلى ذلك الحافظ العراقي[4] في "ألفيته الحديثية"[1] بقوله نظماً:

---

[1] هو السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني (١٣٠٢-١٣٨٢هـ): العلامة الكبير، حافظ المغرب الشهير. وُلد بمدينة "فاس" في المغرب، وتلقَّى العلم على يد كبار علمائها. درَّس في الزاوية الكتانية بفاس وبجامع القرويين، وتتلمذ على يده العدد الكثير من أفاضل العلماء. توفي بفرنسا. وكانت له عناية خاصة بالحديث. وله مؤلَّفات كثيرة تربو على المئتين في مختلف العلوم والفنون. انظر: يوسف المرعشلي، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، ج٢، ص١٢٩٢.

[2] حيث قال رحمه الله تعالى:"وقد وقع في الحطة أوهام تصدَّى لبيانها عصريُّه أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي في (ظفر الأماني)". (الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٣٦٣).

[3] هو علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، أبو الحارث الحلبي (من مواليد ١٣٨٠هـ): المحقق المؤلف. وُلد في مدينة الزرقاء في الأردن. لازم الشيخَ محمد ناصر الدين الألباني، وتخرَّج عليه في الحديث. وله مؤلَّفات وتحقيقات كثيرة تزيد على المئة وخمسين ما بين رسالة وكتاب ومجلَّد ومجلدات. (انظر لترجمته **موقع الشيخ علي حسن الحلبي الأثري**: http://alhalaby.com/catplay.php?catsmktba=23).

[4] سبقت ترجمته في هذا المطلب.

ومَن عليها أَطلَق الصَّحيحا فقد أتَى تَساهُــلاً صَرِيْحا

٥ – حُسْن الأسوة بما ثَبَت من الله ورسوله في النِّسوة.

وهو كتاب فذٌّ فريد لم يُنسَج على منواله كتاب آخر غيره، وهو يختصّ بالنساء وشؤونهن، فقد استوعب فيه القنوجي كلَّ ما ورد عنهن من الآيات في القرآن الكريم، والأحاديث في السنة المطهَّرة.

وابتدأه القنوجي بمقدمة ضافية، ذكر فيها السبب الذي حفزه لتأليفه، وقال: "دعتني إلى تأليفه صاحبتي وعيبتي، في حضرتي وغيبتي: تاج الهند نواب شاه جهان بيغم حفظها الله وسلّم، وهي من اللاَّتي ملكن ناصية الحكومة والولاية في مملكة بهوفال، منذ سنة ١١٢٠ الهجرية، وإنما حملها اقتراح ذلك عليّ أنها لما تلت القرآنَ الكريم مع ترجمته بلسانها، وقرأت بعضَ كتب الحديث ك (مشكاة المصابيح)، وأتقنت بيانها؛ سألتني أن أُفرِد لها ما نزل وورد فيهن من نصوص الكتاب والسنة بحيث لا يترك من ذلك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فنهضتُ لذلك الخطب الخطير، والأمر الكبير"[٢].

فتحقيقاً لرغبة الزوجة الفاضلة ألَّف القنوجي هذا الكتاب، وانتقى أحاديثه من كتب الصحاح، والسنن، و"الموطأ" للإمام مالك (ت١٧٩هـ)، وكتاب "تجريد الصحاح والسنن"[٣] لرَزِيْن بن معاوية بن عمار السَّرَقُسْطي (ت٥٣٥هـ)، و"الترغيب والترهيب" للمُنْذِري أبي محمد زكي الدين بن عبد العظيم (ت٦٥٦هـ)، ثم شَرَحها.

---

[١] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **شرح ألفية العراقي**، تحقيق: أبي حفص شادي بن محمد سالم النعمان، ص١١٩.

[٢] صديق حسن خان القنوجي، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، تحقيق مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين مستو، ص ١٣، ١٤.

[٣] وهي الصحاح الثلاثة: للبخاري ومسلم والموطأ، والسنن الثلاثة: لأبي داود والترمذي والنسائي.

ومنهجه في الكتاب: أنه يقدِّم آيةً من آيات القرآن الكريم، أو حديثاً من أحاديث السنة النبوية التي تتعلَّق بالنساء وشؤونهن، ثم يشرحها شرحاً مُوجَزاً في أسلوب سهل، ثم يُعالِج في ضوء الكتاب والسنة كثيراً من القضايا المتعلّقة بهن، ويقدِّم لها حلولاً صحيحة سليمة دون أن يخرج في ذلك من نطاق الآيات والأحاديث، وذلك مما يدعو إلى الإجلال والتقدير لعمل القنوجي الجليل في هذا الكتاب، ويزيد قيمته وأهميته.

وقد جعل القنوجي في آخر هذا الكتاب ملحقاً لطيفاً ومفيداً، خصَّه بذكر الكثير من الأمور التي تخصَّصت النساء بها دون الرجال، وتفرَّدن بها عنهم في مراتب الإهمال والأعمال.

٦ – نُزُل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار.

يتعلَّق هذا الكتاب بالأدعية والأذكار، والسنن والأحكام الشرعية، اقتبسها القنوجي من بطون كتب الأحاديث، وذكر في سبب تأليفه: أنه رأى الناس يقرؤون محض الأدعية غير المأثورة، أو الموضوعة، أو المشوبة بالبدع، مع أنَّ في الصحاح كثرة وافرة من مثل تلك الأدعية، التي تُغنيهم عن الضعاف والموضوعات، مما دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، فقد انتقى أحاديثَه من الصحاح والسنن[1].

٧ – الحرز المكنون من المعصوم المأمون.

وهي رسالة صغيرة تحتوي على أربعين حديثاً يتعلَّق بالآداب الاجتماعية، انتقى القنوجي أحاديثها من الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبَرة، وذكر في مقدمتها سبب التأليف فقال: "هذه أربعون حديثاً مما بلغ حدَّ التواتر، والتوالي، ورويناها بالسند الصحيح العالي، حملني على جمعها أمران:

---

[1] انظر: صديق حسن خان القنوجي، مقدمته لـ"**نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار**"، ص٢.

الأول: ما ورد في الخبر من سيد البشر برواية علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وابن عمر، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري ﷺ بطرق كثيرة، وألفاظ غزيرة: أنه ﷺ قال: «من حَفِظَ على أمتي أربعين حديثاً؛ بَعَثه الله تعالى يوم القيامة في زُمْرَة الفقهاء والعلماء»[1].....

والثاني: أسوة الأئمة الأعلام، وقدوة حفاظ الإسلام؛ فقد صنَّفت جماعة منهم في هذا الباب ما لا يحصى كثرةً من المؤلَّفات...".

٨ – العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة.

وهو كتاب فريد في بابه، ألَّفه القنوجي إبان نشوب حرب دامية بين الخلافة العثمانية وبين الروس. تحدَّث القنوجي في هذا الكتاب عن الغزو، والجهاد، والشهادة في سبيل الله، فحفز الهِمَمَ، وشجَّع به النفوسَ، وبعث في القلوب الشجاعة والكفاح، وحبَّب المجاهدين الأتراك الموت في سبيل الله، والتفاني في دينه، مستدلاً في كل ذلك مما جاء في الكتاب العزيز، والسنة المطهَّرة.

٩ – قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.

يتناول هذا الكتاب العقيدة الإسلامية من جوانب مختلفة، قسَّم القنوجي موضوعات الكتاب في ستة وعشرين فصلاً، وبدأه بكلام نفيس في بيان عقيدة أهل

---

[1] وهو حديث موضوع، وقد رُوي بألفاظ أخرى وليس له إسناد صحيح، قال الذهبي: "هذا مما تحرم روايته إلا مقروناً بأنه مكذوب من غير تردُّد، وقبَّح الله من وضعه...". الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج٤، ص١٢٣٩. وقال النووي في خطبة كتابه "الأربعين": "اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف كثرت طرقه". انظر: النووي، محي الدين أبي زكريا يحي بي شرف، **الأبعين النووية**، بشرح ابن دقيق العيد، ص ١٤. انظر للتوسع في تخريج الحديث والاطلاع على علله كتاب "**العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**" لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، ج١، ص١١٩، ١٢٩.

الحديث إجمالاً، وسرد آيات كثيرة في الصفات وعلوِّ الله على خلقه، ثم نقل أقوالَ المشاهير من الأئمة في ذمِّ الكلام.

بالأردية:

١٠ – فتح المغيث بفقه الحديث.

وهي رسالة صغيرة، جمع فيها القنوجي المسائل الفقهية والأحكام الشرعية على مذهب فقهاء المحدِّثين، معتمداً على ما ألَّفه المتقدمون في أحاديث الأحكام؛ وذلك حين شعر بحاجة ماسة إلى مثلها لأتباع هذا المذهب في بلاد الهند، فلأن الكتب التي ألَّفها علماء هذه البلاد في الفقه والعبادات من قبل؛ كلها كانت منحصرةً على الفقه الحنفي السائد في البلاد.

فألَّف القنوجي هذه الرسالة، التي تُغني أتباعَ مذهب "أهل الحديث" الناطقين باللغة الأردية عن الرجوع إلى كتب أخرى في الأحكام، حسبما ذكره القنوجي في مقدمته للرسالة: أنه "إذا حصل الكتابان في هذا الباب فلا حاجة إلى كتاب آخر: هذه الرسالة، وكتاب (بلوغ المرام في أدلة الأحكام) للحافظ ابن حجر العسقلاني"[١].

١١ – تقوية الإيقان بشرح حديث حلاوة الإيمان.

وهي رسالة صغيرة ألَّفها القنوجي في تعريف الإسلام والإيمان والإحسان، وذكر فيها مجموعةً من الأحاديث الواردة في الحبّ لله ورسوله ﷺ، وفي الرجل يحبّ أحداً لله، وفي الرجل يكره العودةَ إلى الكفر. وبحثُ هذه الرسالة مستفاد من الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه؛

[١] صديق حسن خان القنوجي، **فتح المغيث بفقه الحديث**، ص١.

وَجَد حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سِواهما، وأن يُحِبّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يَكرَه أن يعود في الكفر كما يَكرَه أن يُقذَف في النار»[1].

بالفارسية:

١٢ – إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ.

يشتمل هذا الكتاب على بيان الناسخ والمنسوخ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية معاً، وعلى دراسةٍ جامعةٍ وبيانٍ مسهبٍ عن أهمية هذا العلم.

قسَّم القنوجي موضوعات هذا الكتاب في بابين، وتكلَّم في مقدمته عن مفهوم النسخ ومعانيه وأحكامه وآثاره، ثم أورد في الباب الأول الآيات القرآنية الناسخة والمنسوخة حسب ترتيب السُّوَر، وفي الباب الثاني أورد الأحاديثَ النبوية الناسخة والمنسوخة. وختم الكتابَ بمبحث نفيس تشتمل على فوائد علمية كأُسُس الشريعة وأحكامها، كما تحدَّث فيه عن الاجتهاد والتقليد في ضوء الكتاب والسنة.

أما سبب تأليف هذا الكتاب باللغة الفارسية[2] حصراً دون سواها؛ فقد بيَّنه القنوجي في مقدمته قائلاً: "إنني جمعت هذا الكتاب من علم السلف والخلف؛ لأن المؤلَّفات القديمة في هذا الموضوع لا توجد إلا قليلاً نادراً، وفي بلادنا خاصةً، لذلك ألّفتُ هذا الكتاب، وحشدتُ فيه المعلومات الجمَّة عن الموضوع ليسهل الانتفاع والاستفادة في هذا الزمان"[3].

١٣ – إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين.

وهو كتاب قيّم مستطاب، يشتمل على تعريفات الكتب في الفقه والحديث، وتراجم بعض الفقهاء والمحدِّثين.

---

[1] أخرجه البخاري **الصحيح**، في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ص١٨، رقم١٦، ومسلم في **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن حلاوة الإيمان، ص٤٠، رقم٤٣.

[2] وللعلم بأن الفارسية كانت لغة أهل العلم في بلاد الهند أيام مجدها الإسلامي في ذلك الزمان.

[3] صديق حسن خان القنوجي، **إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ**، ص١.

قسَّم القنوجي موضوعات هذا الكتاب في قسمين (اللذين سمَّاهما بـ"مقصدين")، ذكر في الأول أسماء الكتب المتعلّقة بالفقه والحديث مع أسماء مؤلِّفيها وسِيَرهم بإيجاز، مرتِّباً على حروف الهجاء. وذكر في القسم الثاني صفوةً طيبة من المحدِّثين وكبار الفقهاء، بدءاً من عهد الإمام محمد بن علي الشّوكاني حتى عصره، حيث ختم الكتاب بترجمته وتراجم معاصريه.

وقد أثنى القنوجي على هذا الكتاب بنفسه في مقدمته له، وقال: "إن هذا الكتاب صغير الحجم، كبير النفع، قليل اللفظ، كثير المعنى، ذكرتُ فيه جميع الكتب التي أُلِّفت خلال ثلاثة عشر قرناً مضت من هجرة الرسول الأعظم ﷺ، وجمعتُ فيه تراجم المحدِّثين الكبار، والفقهاء الكرام، وسِيَرهم ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤]... ثم سجَّل قصيدةً في مدحهم"[1].

١٤ – الإدراك في تخريج أحاديث الإشراك.

جمع فيه القنوجي الآيات من الكتاب العزيز، والأحاديث من السنة المطهَّرة، مما ورد في التحذير عن الإشراك والبدع، وما يتصل بذلك من الأمور المنهي عنها. وكان هذا الكتاب – أصلاً – للعالم الشهيد محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي[2]، فقام القنوجي بتلخيصه، وتخريج أسانيده، والإضافة إليه بعضَ مواد قيمة عن الموضوع.

---

[1] صديق حسن خان القنوجي، **إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين**، ص٤.

[2] هو إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (١١٩٣-١٢٤٦هـ): العلامة المجاهد. وُلد بدِهْلِي، قرأ على أبناء الإمام ولي الله الدهلوي. لازم الإمامَ الشهيد أحمد بن عرفان البَرِيْلَوي، وجاهد معه في سبيل الله حتى اُستشهد. وله مصنفات كثيرة بالعربية والفارسية والأردية، ومن أشهرها: "تقوية الإيمان"، و"رد الإشراك والبدع"، و"الصراط المستقيم". انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ٩١٤، ٩١٦.

وهذا من أهمِّ ما ألَّفه القنوجي في الحديث النبوي في ثلاث لغات، وكلها مطبوعةٌ ومتداولة بين أيدي المشتغلين بالحديث، وله كذلك العديدُ من الكتب والرسائل في الحديث في تلك اللغات، وأكتفي بسرد أسمائها فقط مع الإشارة إلى مكان الطباعة وتاريخها، وهي:

بالعربية:

١٥ – الإذاعة لما كان ويكون بين يدي قيام الساعة: طُبع مراراً في البلاد العربية.

١٦ – أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة: طُبع في كانفور بالهند عام ١٣٤٥هـ.

١٧ – أربعون حديثاً متواتراً: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٣٤٥هـ.

١٨ – الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٣٤٤هـ.

١٩ – الحرز المكنون من المعصوم المأمون: طُبع في مطبعة الشاهجهان ببهوفال في الهند عام ١٢٩٠هـ.

٢٠ – حضرات التجلِّي من نفحات التحلِّي والتخلِّي: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٢٩٧هـ.

٢١ – الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة: طُبع ببهوفال في الهند. بدون تاريخ الطباعة.

٢٢ – الروض البسَّام من ترجمة بلوغ المرام: طُبع في مطبعة الفاروقي بدهلي بدون تاريخ.

٢٣ – يقظة أولي الاعتبار فيما ورد من ذكر الناس وأهل النار: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٢٩٤هـ.

بالأردية:

٢٤ – **بغية القاري في ثلاثيات البخاري**: طُبع في مطبعة نَوَلْكِشْوَرْ بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

٢٥ – تميمة المجدي في ترجمة "الأربعين" من أحاديث النبي ﷺ: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٢٦ – سفينة القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري: طُبع في لاهور بدون اسم الناشر والتاريخ.

٢٧ – فضائل الحج والعمرة: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٢٨ – كشف الكربة عن أهل الغربة: طُبع في مطبعة "مفيدِ عام" بآغْرا في الهند بدون تاريخ.

٢٩ – محو الحوبة بإيثار الاستغفار والتوبة: طُبع في مطبعة "مفيدِ عام" بآغْرا في الهند بدون تاريخ.

٣٠ – منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٣١ – جامع السعادات ترجمة منبهات ابن حجر: وهو مازال مخطوطاً.

٣٢ – خير القرين ترجمة أربعين: وهو مازال مخطوطاً.

بالفارسية:

٣٣ – إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين: طُبع في مطبعة النظامي بكانفور في الهند بدون تاريخ.

٣٤ – **الإدراك في تخريج أحاديث الإشراك**: طُبع في مطبعة النظامي بكانفور في الهند بدون تاريخ.

٣٥ – **إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ**: طُبع في المطبع النظامي بكانفور في الهند عام ١٢٨٨هـ.

٣٦ – **بلوغ السول من أقضية الرسول**: طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

٣٧ – **حجج الكرامة في آثار القيامة**: طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

٣٨ – **حظيرة القدس وذخيرة الأنس**: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٣٩ – **سلسلة المجد في ذكر مشائخ السند**: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٢٩٣هـ.

٤٠ – **مسك الختام في شرح بلوغ المرام**: طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

المطلب الثالث: إزالة بعض الشبهات المثارة حول مؤلَّفاته

إنَّ الكثير من الباحثين يرون أن مؤلَّفات الأمير صديق حسن خان القنوجي ليست فيها أصالة وجدّة وابتكار، وإنما هي ملخَّصة من بعض مصنَّفات السابقين، وأنه لم يزد عليها شيئاً يُذكَر.

فأقول: لا شكَّ أن السِّمة البارزة على مؤلَّفات القنوجي: التلخيصُ والتهذيب، والزيادة والترتيب، والجمع والتبويب، وهذا ما لا يُنكَر عليه، فهو بذلك مشبهٌ لأعظم المؤلِّفين في الإسلام الحافظ السيوطي، فقد عُرف عنه المنهج نفسه الذي اتَّخذه القنوجي في معظم مؤلَّفاته (كالتلخيص والتهذيب والترتيب

والزيادة والترتيب والجمع والتبويب)، وهو منهجٌ يدلُّ على استبحارٍ في العلوم، ونظرٍ في الكتب والفنون، وليس أمراً سهلاً هيِّناً كما يظنُّه بعض المنتسبين للعلم، فكان من طبيعة التأليف في القرون المتأخِّرة أن يُختصَر الكتاب، ويُنسَب من اختصره، وأن يُزاد عليه ويُنسَب إلى من جاء بالزيادة، وهو عملٌ متَّفق على مشروعيته إذ ذاك، إذ لم تكن المطبعة حينئذ في حيِّز الوجود، فكان من نفع القارئ أن يجد من اختصر له المطوَّلَ ليغني عن أصله[1].

كذلك فإنَّ الكثرة الوفيرة للإنتاج العلمي عند القنوجي، أو إكثاره من التأليف إلى جانب تولِّيه المهامَ العظيمة في الإمارة؛ موضعُ الشَّكِّ والارتياب عند الكثيرين، ولا سيما المستشرقين أمثال "إدوارد فانديك"[2]، وبعض المؤلِّفين النصارى أمثال "لويس شيخو"[3]؛ لأن سَيْل هذه المؤلَّفات في رأيهم لا يمكن أن يصدر عن رجل واحد، مهما بذل من الوقت ليلاً ونهاراً ما يستنفده في التحرير والتسطير، فأثاروا الشبهات حول مؤلَّفاته بالظنِّ الواهم لا باليقين الجازم أنها منتحلة، ورموه بالسرقة العلمية.

---

[1] انظر: البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، ج٤، ص١١٨، ١١٩.

[2] وهو كرنيليوس إدوارد فنديك (١٢٣٣-١٣١٣هـ): طبيب عالم، هولندي الأصل، أميركي المولد والمنشأ، مستعرب. وُلد في قرية من أعمال نيويورك، وتعلَّم الطبَّ الصيدلية بمدرسة جفرسن (في فيلادلفيا). قدم بيروت في عنفوان شبابه وحذق العربيةَ كأدبائها. توفي في بيروت. له نحو خمسة وعشرين مصنفاً عربياً، أشهرها: "المرآة الوضية في الكرة الأرضية"، و"النقش في الحجر" في ثمانية أجزاء، و"أصول علم الهيئة"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ٢٢٣.

[3] هو لويس شيخو اليسوعي (١٢٧٢-١٣٤٦هـ): أحد المؤلفين المكثرين، تنقَّل في بلاد أوربة والشرق، فاطلع على ما في الخزائن من كتب العرب، ونسخ واستنسخ كثيراً منها، وقد كتب في مجلته "المشرق" نحو خمس وعشرين سنة، وكان همه في كل ما كتب خدمة طائفته. توفي في بيروت. ومن أشهر كتبه: "الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٢٤٦.

ولا شكَّ أنَّ هذا افتراء واضح، وادِّعاء عريض من هؤلاء على القنوجي، للنيل منه لأغراض سياسية أيام الاستعمار البريطاني في الهند الذي كان القنوجي من المعارضين له، فحاولوا التشكيك في مؤلَّفاته، فقد كتب "إدوارد فانديك" ترجمةً للقنوجي في كتابه "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع" بائناً منها تحامُله عليه، ثم أتبعه المؤلِّف النصراني لويس شيخو معلِّقاً على قول إدوارد في كتابه "تاريخ الآداب العربية".

يقول إدوارد في القنوجي وفي مؤلَّفاته في الكتاب المشار إليه آنفاً إن: "أصله من عوام الناس، إلا أنه توصَّل إلى ملكة بهوفال في إقليم (الدَّكَنْ) بالهند، وتزوَّج منها، وسُمِّي نائباً عنها، فعندما اغتنى بالمال؛ جمع إليه العلماء، وأرسل فابتاع الكتبَ المخطوطة من كل جهة، وجمع مكتبةً كبيرةً، وكلَّف مَن حوله مِن العلماء بالتأليف، ثم أخذ مصنَّفاتهم ونسبها لنفسه، بل كان يختار الكتبَ القديمة التي لم تكن منها سوى النسخة الواحدة، ويغيِّر العنوان، ويبدِّله باسم آخر، ويضع على الصحيفة الأولى اسمه مع ألقاب الفخر... ومع ذلك له مصنَّفات حسنة، منها تفسيره الذي سمَّاه: فتح البيان في مقاصد القرآن"[1].

وهذه بعض الشبهات والافتراءات المشهورة التي أُثيرت في القنوجي وإنتاجه، والتي أعرضها فيما يلي، ثم أحاول إزالتها:

أولاً: فقول إدوارد: "أصله من عوام الناس"، وهذا كذب واضح، بل هو من خيرة أهل بلدة "قَنُّوج"، فوالده كان من أعيانها المحترمين، ومن علمائها الأجلة، وله مؤلَّفات، ونسبُه معروفٌ ينتهي إلى آل البيت، إلا إذا كان

[1] ادوارد فنديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، ص٤٩٧.

يقصد إدوارد بالعامية هنا فقره! فهذا أيضاً ليس بصحيحٍ، وقد عُرفت أسرته بميسور حالها وإن لم تبلغ حدَّ الثراء[1].

وثانياً: قوله: "إلاَّ أنه توصَّل إلى ملكة بهوبال في إقليم الدَّكن في الهند، وتزوَّج بها، وسُمِّي نائباً عنها". وهذا يُشعِر بأنه هو الذي بحث عن الملكة وحثَّها على الزواج به طمعاً منه فيها! وهذا كذلك كذب؛ لأن القنوجي بعد عودته من حجته الميمونة عام ١٢٨٦هـ؛ عرضت عليه الملكةُ نفسها فقبلها وتزوَّج منها، وكانت امرأةً متدينةً تحب العلماء، وتدنيهم منها.

وثالثاً: قوله: "وكلَّف من حوله من العلماء بالتأليف، ثم أخذ مصنَّفاتهم ونسبها لنفسه". وهذه فرية عظمى على القنوجي، والتي تابع فيها هذا النصرانيَّ الكثيرُ من الباحثين المسلمين والمتغرِّبين. وقد ردَّ على هذه الفريةِ العلامةُ عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ) في كتابه "فهرس الفهارس" بعدما لَخَّص اتهاماته فقال: "...فكلام أعدائه فيه، وإلا فالتآليف تآليفه، ونَفَسُه فيها متحد"[2].

هذا هو الصواب، فأسلوب القنوجي هو الأسلوب نفسه في كل مؤلَّفاته المطبوعة والمخطوطة التي وصلتنا مقتطفات منها مبثوثةً في كتب من عاصره أو طالعه بعضاً منها، فأين لمن كلَّفهم القنوجي أن يتفقوا على أسلوب واحد، ويتكلَّفوا كل هذا التكلُّفَ لأجل نسبة هذه الكتب للقنوجي !!....

وكذلك نستطيع أن نلمس شطط ما تقدَّم في قول هذا المستشرق، فإنَّ النسخة إذا كانت واحدةً، فإما أن يكون مؤلِّفُها هندياً أو غير هندي، فإن كان

---

[1] انظر: الندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره**، ص٣٠، ٥٨.

[2] الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠٥٧.

هندياً فسيذيع خبرُ هذا الغصب، ولن يسكت عليه ناقد، وإن لم يكن هندياً فمن أدرى القنوجيَّ أن النسخة الوحيدة بالهند ليس لها أصل آخر في غير الهند! فتعظُم الكارثة حين يتحدَّث الناس عن سرقة علمية لعالمٍ عظيم، وأميرٍ كبير مثل القنوجي، وإذا كان إدوارد قد جزم بأن تفسير القرآن المسمَّى "فتح البيان في مقاصد القرآن" من تأليف القنوجي، وهو تفسير مشتهر يحتل الصدارةَ بين كتب التفسير في عصره، أفيعجز مؤلِّف هذا العمل المفيد أن يكتب نظائره؟ وإذا كان قادراً على التأليف العلمي فلِمَ يُذلّ نفسه لمن دُونه في المنصب حين يَطلُب أن يؤلِّف له كتاباً!![1].

ثم إنَّ القنوجي أقبل على التأليف والتصنيف قبل زواجه مع الملكة، حين كان يشغل مناصبَ كبيرة في بهوفال، وكان يتقاضى راتباً كبيراً، وينفق منه القدر الأكبر في اقتناء الكتب واستنساخ المخطوطات.

وقد ألَّف القنوجي نحو ثلاثمئة كتاب، فهل كانت كلها غير معروفة المؤلِّف حتى يسهل انتحالها؟، وهل عجز قراء العربية والفارسية والأردية أن يكشفوا أثراً واحداً من ثلاثمئة كتاب منتحل؟، وكيف يجمع علماء الأماكن النائية على نسبة ما كتبه المؤلِّفُ إليه، ولا يوجد بينهم عالم واحد يقدِّم دليل السرقة في كتاب من ثلاثمئة كتاب! على أنَّ أصدقاء القنوجي ومجالسيه من كبار العلماء، لهم مؤلَّفاتهم، وليس بينها وبين مؤلَّفات القنوجي شبهٌ في التحرير، فهل كانوا جميعاً يُخفون أساليبهم حين يكتبون غير ما يُمهرونه بأسمائهم وكيف يتحقَّق ذلك! وأكثر مِن ذلك كيف فات كلَّ من قرأ كتب القنوجي، وترجم له، وعاصره حتى من أعدائه أن هذه ليست مؤلَّفاته!!؟"[2]. ثم يأتي هذا المستشرق ليكتشف مثل هذا الزعم الباطل!

---

[1] انظر: البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، ج٤، ص١٢٠-١٢١.

[2] انظر مجلة "الرابطة" الشهرية، ص٤٠.

ثم شاء الله أن يفضح جهل هذا المستشرق بما يصح مما لا يصح من مؤلَّفات للمؤلِّفين أو ما تُكُلِّم فيه بين مثبتٍ ونافٍ فقال: "وللقنوجي أيضاً (نيل المرام من تفصيل آيات الأحكام) طبُع في لكنؤ عام ١٢٩٢هـ"[١]، ذلك أن هذا الكتاب قد نسبه إلى ابنه أبي الخير نور الحسن كثيرٌ من أهل العلم والدراية بالكتب، في حينٍ يجزم هذا المستشرق بصحة نسبته إليه دون ذكر لهذا الخلاف!!

ثم أتبع المؤلِّفُ النصراني لويس شيخو افتراءَ الأول، وعلَّق عليه في كتابه "تاريخ الآداب العربية" قائلاً: "زعم البعض أنها ليست له، وإنما كلَّف العلماءَ بتصنيفها فعزاها لنفسه ك (فتح البيان في مقاصد القرآن)، وكتاب (العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة)، و(البُلغة إلى أصول اللغة)، و(العلم الخفاق من علم الاشتقاق)، و(لَفّ القِماط على تصحيح بعض ما استلمته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط)، وكتاب (أبجد العلوم)"[٢].

وهذا المؤلِّفُ النصراني أراد بذلك أن يَرُدَّ على المستشرق إدوارد فانديك، ويصحِّح له معلوماته إذا به يزيد الطين بلةً؛ وذلك أنه نسب إلى إدوارد أشياءاً لم يدَّعها، ولم يبيِّن موقفه من أشياء ادّعاها! إذ أن إدوارد لم يزعم أن كتاب" فتح البيان" ليس من مؤلَّفات القنوجي؛ بل على العكس من ذلك قال في آخر ترجمته: "ومع ذلك له مصنَّفات حسنة، منها تفسيره الذي سمَّاه: فتح البيان في مقاصد القرآن".

فهده بضاعة المستشرقين في العلم والتحقيق، جهلٌ مركَّبٌ، و تعالُمٌ منكبٌّ.

ومن نافلة القول: إنَّ الإكثار من التصنيف والتأليف، لم يكن صفةً ريادية

---

[١] ادوارد فنديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، ص٤٩٧.

[٢] لويس شيخو، **تاريخ الآداب العربية**، ج١، ص١٢٢.

للقنوجي وحده في بلاد الهند، بل الكثير من أبنائها قد ألَّف كتباً ذات عدد كبير، ولم يشكّ أحد في نسبتها إليهم، فعلى سبيل المثال: الإمام عبد الحي اللكنوي[1]، الذي عاصر القنوجيَّ، فإنه رُزق عمراً أقلَّ بكثير من عمره، حيث عاش فقط (٣٩) عاماً، مع ذلك زادت مؤلَّفاته على مئة وعشرة كتب، ما بين كتابٍ في عدة مجلَّدات كبار ورسالةٍ في صفحات، وكلّها في المباحث المفيدة والمشكلات العصيبة. وكذلك عالم آخر من علماء هذه البلاد: الشيخ أشرف على التَّهَانَوِي[2]، فقد زادت تآليفه على ألف مؤلَّف ما بين صغير وكبير، وهكذا غيرهما الكثيرون من علماء هذه البلاد، الذين عُرفوا بإكثارهم من التأليف، وبإنتاجهم الضخم، ولم يشكّ في ذلك أحدٌ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الخاتمة:

وهذه بعض أبرز ملامح لشخصية الأمير صديق حسن خان القنوجي الذاتية والعلمية، والتي حاولتُ من خلالها إلقاء الضوء على جهوده المخلصة في خدمة الحديث البنوي من نواح مختلفة، والتي قام بها - رحمه الله تعالى - وهو على منصب الإمارة المهمة التي نادراً ما تدع صاحبَها ليشغل عنها بالتفرغ لعمل علمي آخر، إلا من اصطفاه الله بخدمة دينه، وجمعه بين مهامتين العلمية والعلمية، ورزقه بعلو الهمة، وبارك في وقته وعمره.

---

[1] قد سبقت ترجمته في المطلب الثاني.

[2] هو أشرف علي بن عبد لحق بن الحافظ فيض علي التهانوي الملقَّب بـ"حكيم الأمة" (١٢٨٠-١٣٦٢هـ): العالم الجليل، العلامة المربي، المؤلف المكثر، وُلد بقرية "تمانه بهون" قرب بلدة "ديوبند" تلقَّى العلم في "دارالعلوم ديوبند". ثم تفرَّغ للتدريس والإفادة والوعظ والإرشاد. فقد أودع الله تعالى فيه قدرةً فائقة، وكفاءةً كبيرة في البحث والتحقيق، وملكةً عالية في الكتابة والتأليف، فقد قام بتاليف كتب قيمة نافعة تتسم بالأصالة في البحث والتحقيق، والعمق في النظر والتدقيق. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٨٧، البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص٦٠.

ففي الحقيقة أن البحث عن جهود القنوجي في هذا المجال تحتاج إلى دراسة مستقلة لتفي حقَّها، وهي – في حدود علمي الضعيف – لم تُتناوَل حتى الآن، فيا حبّذا لو قام بها أحد الباحثين في مجال الحديث النبوي، عسى أن تقع هذه المناشدة موقع القبول والإجابة.

وصلَّى الله وسلَّم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مصادر البحث ومراجعه:

بالعربية:

١) آل بسَّام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح. (١٤١٩هـ). **علماء نجد خلال ثمانية قرون**. ط٢. الرياض: دار العاصمة.

٢) آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف. (١٣٩٤هـ). **مشاهير علماء نجد وغيرهم**. ط٢. الرياض: اليمامة.

٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**. ٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي. (١٤٠٦هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق: محمود الأرناؤوط. ط١. بيروت: دار ابن كثير.

٥) الأحمد، علي بن أحمد. (١٤٢٤هـ). **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان رحمه الله واحتسابه**. ط١. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون.

٦) ادوارد فنديك. (١٣١٣هـ/١٨٩٦م). **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**. ط١. القاهرة: مطبعة الهلال.

٧) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**. تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا. ط٥. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨) البيطار، عبد الرزاق. (١٤١٣هـ). **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. تحقيق: الشيخ محمد بهجة البيطار. ط٢. بيروت: دار صادر.

٩) البيومي، محمد رجب. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**. ط٢. دمشق: دارالقلم.

١٠) جريدة "المصري اليوم" (الصادرة عن مؤسسة المصري اليوم للصحافة والنشر بالقاهرة. العدد١٩٠٨. تاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٩م). ص٢.

١١) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي. (١٣٣٣هـ/١٩١٥م). **تذكرة الحفاظ**. ط١. حيدرآباد: دار المعارف النظامية.

١٢) الزركلي، خير الدين الزركلي. (١٩٩٧م). **الأعلام**. ط١٢. بيروت: دار العلم للملايين.

١٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليماني. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. تحقيق: محمد حسن خلاق. ط٢. دمشق: دار ابن كثير.

١٤) عبد الحي الحسني بن فخر الدين الحسني. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**. ط١. بيروت: دار ابن حزم. ط١.

١٥) عبد الحي الحسني بن فخر الدين الحسني. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **الهند في العهد الإسلامي**. ط١. رائ بريلي: مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد.

١٦) الغوري، سيد عبد الماجد. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**. ط٣. دمشق: دار ابن كثير.

١٧) الغوري، سيد عبد الماجد. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **مصادر الحديث ومراجعه دراسة وتعريف**. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

١٨) الفريوائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن. (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**. ط٢. بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية.

١٩) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). **أبجد العلوم**. ط١. بيروت: دار ابن حزم.

٢٠) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٠٤هـ). **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**. ط٢. بيروت: دار إقرأ.

٢١) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**. تحقيق مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين مستو. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٢) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٠٨هـ). **الحطة في ذكر الصحاح الستة**. تحقيق: الأستاذ علي حسن الحلبي. ط١. بيروت: دار الجيل.

٢٣) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٤) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **عون الباري بحل أدلة البخاري**. ط٢. دمشق: دار النوادر.

٢٥) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٣٠١هـ). **نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار**". ط١. قسطنطينة: مطبع الجوائب.

٢٦) الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. (١٤٠٢هـ). **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٢٧) الكتاني، محمد بن جعفر. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م). **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**. ط٧. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

٢٨) كحالة، عمر رضا. (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). **معجم المؤلفين**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٩) لويس شيخو. (١٩٧٤م). **تاريخ الآداب العربية**. (ط١). بيروت: دار الثقافة.

٣٠) محمد خير رمضان يوسف. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **تتمة الأعلام للزركلي**. ط٢. بيروت: دار ابن حزم.

٣١) محمد أبو زهرة. (١٩٩٦م). **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

٣٢) المرعشلي، يوسف. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**. ط١. بيروت: دار المعرفة.

٣٣) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوي. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **المسند المختصر من السنن ينقل العدل عن رسول الله ﷺ**. ط١. الرياض: دار السلام.

٣٤) المقدسي، عبد الله بن محمد بن أحمد بن البناء البشاري. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. تحقيق: محمد مخزوم. ط٢. كراتشي: الجامعة العربية أحسن العلوم.

٣٥) الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (١٤١٠هـ). **شخصيات وكتب**. ط١. دمشق: دار القلم.

٣٦) الندوي، محمد اجتباء. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

٣٧) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **الأربعون النووية**. بشرح ابن دقيق العيد. ط٢. بيروت: دار ابن حزم.

٣٨) القنوجي، الأمير حسن علي خان. (١٩٤٢م). **مآثر صديقي**. ط١. لكنؤ: مطبع نولكشور.

٣٩) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٣٠٥هـ). **إبقاء المنن بإلقاء المحن**. ط١. بوفال: مطابع شاهجهاني.

٤٠) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٢٨٨هـ). **إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدّثين**. ط١. كانفور: مطبع النظامي.

٤١) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٢٨٨هـ). **إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ**. ط١. كانفور: المطبع النظامي.

٤٢) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٢٨٩هـ). **فتح المغيث بفقه الحديث**. ط١. بهوفال: مطبعة الشاهجاني.
٤٣) النوشهري، أبو يحي إمام خان. (١٣٥٦هـ). **تراجم علماء أهل حديث**. ط١. دهلي: برقي بريس.